رسـالة
موضحة حقائق الأسرار
لمن تيقظ من الأبرار

محمَّد بن شعبة الحرَّانـي
قُدِّس سِرُّه

بسم الله الرحمن الرحيم

وقفتُ يا سادتي الإخوان وجمهور هذا الزمان أيّدكم الله بسعادته وخصَّكم بتوفيقه وإرشاده على الفصل الذي ذكرتموه

والشرح الذي أوردتموه من رسالة سيدنا أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي شرَّف الله مقامه في أوّل السياقة، وظهور المعنى بالسبع الذّاتية، وإلى قوله: ستةٌ تصير الكل

[1]

ثلاثةَ عشرَ، وفي قوله علاَّ( ) الله شخصه في آخر السياقة: وهذا ما أظهره في مقامات المعنوية لم يُزِل الاسم فيها.

وسؤالكم أدام الله بكم الإمتاع وأحسن عنكم الدفاع في تفسير ذلك لكم وتسهيله لديكم وإيضاحه لاشتكاله عليكم:

اعلموا علَّمكم الله الخير، أنَّ المعنى تعالى وإن ظهر كالاسم فإنه

[

أحدٌ أبداً معنى المعاني وربُّ المثاني لا يظهر إلاَّ بالذات(

2]

) ممتنعٌ عن النعوت والصِّفات، لا يزول عن كيانه وإن ظهر لعيانه، كما قال الشيخ الثقة أبو الحسين محمد بن علي الجلّي قدَّس الله روحه في دعائه: يا من لم يزل عن كيانه وإن ظهر لعيانه. وإنما يقع التغيير في عالم المزاج في قولهم مثلي وذاتي لأنَّ العالم يرون المعنى تعالى على ثلاثة ضروب: فالعالم العلوي النوراني يرونه أنزعاً بطيناً لا تتغير عليهم

[3]

صورهـ(   ) والعالم الروحاني الممزوج بالكدر يرونه مثلياً وذاتياً

[4]

بما شاء أن يقلِّب أعيانهم، والعالم الظلمي(   ) يرونه بشراً مثلهم. وكذلك الاسم إليه التسليم وإن ظهر بالباب ظهور مزاجٍ فهو واحدٌ ولو ظهر بمائة ألف شخص، لكان معدن تلك الأشخاص واحداً ونورها واحد لأنه الشجرة وأشخاصه أغصانها،

[5]

وهو الجرثومة(   ) وأشخاصه متفرعة منها. وكذا الباب وإن

[6]

اختلفت الأسماء(   ) والصِّفات مثل صفقة ومؤهل فهو وحدانية نوراً واحداً، ومعنى الوحدانية أنه أول الخلق وأنه أول بدو الخلق وهو معدودٌ في جملتهم. وكذا قيل إنَّ الربوبية لتخطر على قلوب البشر يعني سلمان لأنه أول البشر.

فالقول عن سيدنا شرَّف الله مقامه في قوله: وهذا ما أظهره في مقامات المعنوية لم يزل الاسم في مقامٍ منها، إنما هو على سبيل السهو ممن نقله، وإنما هو لم يدخل الاسم في مقامٍ منها، هكذا جاء في هذا الموضع في نسخة الأصل بإجازة الشيخ الثقة أبي الحسين محمد بن علي الجلي قدّس الله روحه في

[7]

السبعة الأولى وهي الذَّات, والستة التي تتلوها تجيء( ) في المثليات.

ألا ترى إلى قوله شرَّف الله مقامه في السياقة بعينها: والذي ظهر به المعنى جلَّ وعلا بغير إزالة شخص، والظهور بمثله في سبع مقامات، في مقام هابيل وشيث ويوسف ويوشع وآصف بن برخيا وشمعون الصَّفا وأمير المؤمنين. ثم قال في فصل آخر:

وأما ما نسق من أسماء المعنى بالذَّات والاسم فنحن نبيِّنه ونشرحه على الإيضاح والبيان بتوفيق الله، في ذلك الباب:

أسماء سبع تسمَّى مسمياً لا مسمَّى

بها وسبعون اسماً للاسم هنَّ أعمَّا

فقوله: بها، هو نهاية الأول في تمامه وابتداء الثاني في نظامه فيفرد المعنى بالذات وما سواه بالأسماء والصفات.

وأربعٌ لا سواها أسماؤه حين تمَّا

ثم قال: شرح ذلك وبالله التوفيق أسماء سبعة للمعنى بالذات لم تقع على غيره من اسم ولا باب وهي بالحقيقة: هابيل. شيث. يوسف. يوشع. آصف شمعون. أمير النحل وهو المسمِّي

لجميع الأسماء.

وقال في موضعٍ آخر:

وهذه السبعة مقامات التي قدَّمنا ذكرها وشرحنا نعتها قام فيها بالذَّات لا بصورة ولا بشخص أزاله المعنى وظهر بمثل صورته كما أزال الصور في مقامات النبوة والرسالة، وهي السبعون اسماً أسماء الاسم من آدم إلى السيد محمد في مقامات النبوة والرسالة، وفي مقامات الإمامة إلى المهدي، ثم في أحد عشر مقاماً بالبابية، وذلك أنه لما شرَّف المعنى الأزل الاسم بالظهور بمثل صورته شرَّف الاسم الباب بالظهور به لعظم منزلته وعلوِّ درجته لديه، وهذا ما لا يعرفه عامة أهل التوحيد.

وكذلك قال الشيخ الثقة في قصيدةٍ له:

ويظهر المعنى كأسمائه — وحُجبِه من غير تجسيدِ

ظهور إفراجِ بلا خلطةٍ — ولا مزاجِ في التعديدِ

ولا زوالٍ زال عن ذاته — ولا بتقريبٍ وتبعيدِ

لكنه شرَّف أسماءه — وخصَّهم منه بتمجيدِ

ويظهر الحمد بأبوابه — ظهور تمزيجِ بتمجيدِ

وقد نطقت وصيته أيضاً بمثل ذلك، قوله نضَّر الله وجهه: إنّ الظهور ظهوران: ظهور إفراج, وظهور مزاجٍ.

فأمّا ظهور الإفراج فهو ظهور المعنى كالحجاب.

وأمَّا ظهور المزاجِ فهو ظهور الاسم بالباب، وقد ذكر أبو الحسين بن علي بن بطَّة الشامي قدَّس الله روحه في قصيدة له مثل ذلك وهي هذه:

إذا أراد الله جلَّ اسمهُ يظهر كالميم تعالى وقدَّرْ

يغيِّب الميمَ تعالى ذِكرُه تحت تلالي نوره إذا ظهر

ويُظهِرُ القدرةَ والنطقَ به والمعجز الباهر إذ قيل بهر

وهو بتلك الصورة الأولى التي يعرفها بالعينِ مَنْ كان نظرْ

من غيرِ أن يبدو تعالى مثله أو صورةً محدثةً من الصورْ

وله تسعة مقاماتٍ قام فيها بالذات لم يُزله المعنى فيها ويظهر بمثل صورته وَهُمْ:

آدم. يعقوب. موسى. هارون. سليمان. عيسى. عبد الله. محمد

رسول الله ومحمد الحجَّة. صلوات الله عليهم.

فالباريء تعالى وتقدَّس إذا أراد أن يشرِّف الاسم بالظهور كمثل صورته من غير انتقال غيَّبه تحت تلألؤ أنواره وظهر كمثل صورته.

فقول الخصيبي شرَّف الله مقامه:

غيَّبه تحت تلألؤ أنواره دليلٌ على أنه لا يختلط بالأنوار التي منها اختُرع بعد انفصاله ولا يمازجها، بل يكون تحتها لأن الباريء تقدَّس فوقه بالعلوِّ، وتكون أنواره بمنزلة التكوين والخليقة.

فافهموا هذا حرسكم الله، وفكِّروا فيه، وإنما الاسم إليه التسليم يُسلَبُ جسده النوري، وقولنا:

يُسلَب جسده ليس بمعنى ينفصل عنه لأن جسده متحدٌ به منذ كُوِّن، فإذا رجع إلى تلألؤ نور الذات أغشته من أنوارها ما لا يثبت فيُرى، وكذلك قال سيدنا شرَّف الله مقامه في رسالته في خبر موسى: وبقي الاسم نوراً مجرداً من هيكله، لأنه لم يثبت لنور الذات فيُرى،فقوله:

لم يثبت، دليل على بقائه معه، وقوله: فيُرى، دليل على أنه قد أغشاه من الأنوار مالا يستطيع المقام عندها فيكون تحت تلألؤ

النور كمثل القمر إذا كان في السراري تحت أنوار الشمس أغشاه كثرة أنوارها فلا يُرى ولا يُعاين، فإذا بعد عنها وعن أنوارها تراءى إلى الكمال، وإنما ضربنا هذا المثل ولا مَثَل للباريء تعالى ليقرب فهمه على سامعه فتتصور الدراية وتقرب معرفتها عنده، لأنَّ الشمس إذا كانت ظاهرةً والقمر جميعاً في السماء لم يكن للقمر نورٌ ولا يقع العيان على شيءٍ من أنواره، فإذا غربت الشمس عنه وبعدت أضاءَ نوره المتحد به وأشرق واتَّسَع في شرقها وغربها وغيَّبت أنواره النور القريب منه من الكواكب، فهذا معنىً مليحٌ لمن يدريه، والله الموفق. فمن علم هذه الإشارات أُزيلت عنه كثيرٌ من الشبهات، شبهات المتخرِّصين واستغنى عن هواذرهم وتخرُّصهم.

وممَّا يؤكد جميع ما ذكرته وينصره، وتثبت به الشهادة من الأخبار وتؤكده ما رواه الشَّاب الثقة أبو سعيد ميمون بن القاسم الطبراني قدَّس الله روحه قال:

حدَّثني الشيخ الثقة أبو الحسين محمَّد بن علي الجلّيِ بحلب سنة سبع وتسعين وثلاثمائة قال:

حدَّثني شيخي ووالدي أبو عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي شرَّف الله مقامه عن عمِّه أحمد بن الخصيب عن يتيم دين الله

أحمد بن محمد الكاتب يرفعه إلى فرات بن أحنف قال: كنت يوماً بحضرة مولاي الصَّادق منه السلام وبين يديه جماعة من العارفين والمتوسطين والمقصِّرين في العلم وهم يسألونه ويجيبهم عن أسئلتهم بفنونٍ من العلم، إذ خطر في قلبي وجالَ في فكري وأنا أنظر إلى مولاي وأتأمله بالصورة الجعفرية فقلتُ في نفسي:

ليتني تمكَّنتُ من سؤالِه فكنتُ أسأله أن يريني كيف كانت صورته لمَّا كان ظاهراً بالصورة الهابيلية، ولم أحرِّك به لساني بل جاشَ في صدري ذلك. فما استتمَّ خاطري حتى رأيتُ مولاي قد أدار عنقه وتغيَّرت صورته ورأيتُ صورةً غير الأولى وبين عينيه مكتوبٌ بالنور: هكذا كانت صورتي لما كنت ظاهراً بالذَّات الهابيلية وأنا الله العليُّ العظيم، فرجعت أدير عيني وأتأمل الصورة إذ خطر ببالي وقلبي أن قلت:

يا ليتني سألته أن يريني كيف كان ظاهراً بالصورة الشيثية: فأدار عنقه فرأيتُ صورةً غير الأولى والثانية وبين عينيه مكتوبٌ بالنور: بهذه الصورة كنتُ وأنا شيث وأنا الله العليُّ العظيم.

وأقبلَ يخطر بقلبيَ سؤاله عن كلِّ صورةٍ كيف كان يظهر بها

من السبعة الذاتية، وكلّما كمل في خاطري السؤال أظهر مولاي ما أظهره حتى ظهر بصورة الأنزع البطين، ثم ألتفت إليَّ بمحضرٍ من الجماعة وهم لا ينطقون ولا يسمعون ولا يعون وقال لي:

يا فرات نظر الناس إلينا بأعين الباطل والتشبيه ونظرتَ إلينا بعين الحقيقة. ما زلت عن كياني وإن ظهرتُ لعياني، وأنا الله العليُّ العظيم الأنزع البطين أُقلِّبُ القلوب والأبصار كيف أشاء، وفيَّ يقول اسمي وحجابي:

(وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ)([8]).

فهذا جواب ما سألتم، وإيضاح ما أردتمُ وله قصدتم، وفقَّكم الله بحسب ما وصل إليَّ ومنَّ الله سبحانه عليَّ، وله أسأل أن يعطيني وإياكم شكر مِنَتهِ ولا يُخلِنا من إحسانه ونعمه وجزيل قسمه إنه وليُّ الإجابة رءوفٌ رحيمٌ.

{ تمّت الرسالة }

1- ن2: أعلا
2 - ن2: بذاته
3 - ن2: الصورة
1- ن2: البشري
2- ن2: الأصل
3- ن2: الأسماء
4- تأتي
[8]
- الأنعام 110